الرسالة

(١ كورنثوس ١: ١٠-١٧)

يا إخوةُ أطلُبُ إليكم باسمِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ أن تقولوا جميعُكم قولاً واحداً وأن لا يكونَ بينكم شقاقاتٌ بل تكونوا مكتَمِلينَ بفكرٍ واحد ورأيٍ واحد* فقد أخبرني عنكم يا إخوتي أهلُ خُلُوي أنَّ بينَكم خصوماتٍ* أعني أنَّ كلَّ واحدٍ منكم يقول أنا لبولُسَ أو أنا لأبلُّوسَ أو أنا لصفا أو أنا للمسيح* أَلعلَّ المسيحَ قد تجزَّأَ. ألعلَّ بولسَ صُلبَ لأجلِكم أو باسمِ بولسَ اعتمدتم* أشكرُ اللهَ أنّي لم أعمِّدْ منكم أحداً سوى كرِسبُسَ وغايُوس* لئلَّا يقولَ أحدٌ إنّي عمَّدتُ باسمي* وعمَّدتُ أيضاً أهلَ بيتِ استفاناس. وما عدا ذلك فلا أعلمُ هل عمَّدتُ أحداً غيرَهم* لأنَّ المسيحَ لم يُرسلني لأُعمِّدَ بل لأبشِّرَ لا بحكمةِ كلامٍ لئلَّا يُبطَلَ صليبُ المسيح.

أسرار الكنيسة في حياتنا

يشاء الله أن يكشف نفسه للإنسان، أن يقترب منه ويتّحد به. لذلك نرى الثالوث القدوس الإله الواحد عبر التاريخ، منذ خلق آدم وحواء، ثم عبر الناموس والأنبياء، حتى مجيء ملء الزمان بتجسد ربنا يسوع المسيح، يسعى لأن يكشف ذاته للإنسان ولأن يدخل في شركة حياة معه. الله يعطي نعمته ونوره للخليقة وهذا ما يُؤدّي إلى الخلق ثم إلى بلوغ الخليقة كمالها في الروح القدس. وهذا ما نعيشه في الكنيسة. حياة الكنيسة هي إغناءٌ مستمرٌّ للخليقة بنعمة الله من جهة، والمشاركة المستمرّة للإنسان في الحياة الإلهيّة من جهةٍ ثانية.

«هوذا الزارع قد خرج ليزرع» (متى ١٣: ٣، مر٤: ٣، لو ٨: ١٨). الله يَخرُج إلينا بواسطة الكلمة الإلهيّة، أمّا نحن فنؤمن بهذه الكلمة، فنحيا فيها من خلال أسرار الكنيسة. عندما نتكلّم على إغناء للإنسانيّة وعلى الاشتراك في الحياة الإلهيّة نقصد تَحَوُّلاً كيانيًّا. كلُّ كيانِ الإنسانِ مَعنيٌّ بهذا التّبدل.

هذا واضحٌ في الكتاب المقدّس: «يا بُني أعطني قلبك» (أم ٢٣: ٢٦). القلب يعني عمق كيان الإنسان. المقصود بهذا التحوّل هو قوّة الحياة الإلهيّة التي تسكن في الإنسان وتحييه.

الأمرُ يختصّ بعلاقةٍ حيث الإله يَهَبُ، والكائنُ المخلوقُ يتلقّى الحياة الإلهيَّة. هذه هي العلاقةُ السّرّيّةُ لله في العالم. الأسرار ليست طقوسًا، بل هي علاقةُ إعطاءٍ وتَلَقٍّ. الله يهبنا قوّته غير المخلوقة. وهذه القوّة هي الحياة الإلهية والمحبّة الإلهية والمجد الإلهي. هي المجد الإلهيّ الأزليّ، النّور الذي لا يُدنى منه، نورُ الثّالوث القدوس الإله الواحد. هذه القوّة الواحدة ظهرت في فعل الخلق، سواء في خلق الملائكة الذين طالما كانوا مقيمين في نور الإله ومجده، أو في خلق السّماء والأرض والإنسان. وهي تظهر في كلّ الأفعال الإلهيّة الأُخرى أي النبوءات، والتجسد والصلب، والقيامة، وفي كلّ التّدبير الإلهيّ.

أمّا في العنصرة، فقد أعطيت الحياةُ الإلهيّةُ لكي يشترك فيها الإنسان. بهذا المعنى يهتف الرسول بولس: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غلا ٢:٢٠). بالتّالي معنى الأسرار هو أن يشترك الإنسان في الحياة الإلهيّة. وحياة كل

العدد ٢٠١٥/٣٠

الأحد ٢٦ تموز

تذكار الشهيد في الكهنة أرمولاوس ورفقته والشهيدة باراسكفي

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثامن

إنسان ونموّه في النعمة أساسُهما هذه العلاقة السّريّة بين الله والعالم.

هذه العلاقة تتحقّق ضمن شركة الجماعة الكنسيّة حيث تُثمِرُ النّعمة المحيية. حضور الرّوح القدس الذي يربطنا بالله، وعملُ النّعمة في حياة الإنسان، يميّزان الكنيسة عن أيّ مؤسّسة أخرى على الأرض.

الأسرار، من حيث هي ظهور علاقة الله بالخليقة، تبدو في الكنيسة من خلال أعمال وخدم وعباداتٍ، والتي تكمّل نموَّ أعضاءً جسد المسيح واشتراكهم في الحياة الإلهيّة وفي المعرفة الإلهيّة.

يفهمُ اللّاهوت الأرثوذكسيّ الأسرار من حيث هي تحقيق لجسد المسيح الواحد. كلّ اللّيتورجيّات التي تشكّلت، حتّى القرن الرّابع، شدّدت على هذا الأمر، كما أنّ الآباء الذين أتَوا بعد القرن الرّابع شدّدوا على هذه الحقيقة. بذلك نفهم أنّ القدّيس نيقولاوس كاباسيلاس لم يعطِ في القرن الرّابع عشر أيّ تعريفٍ للأسرار بل أَصرّ على أنّ الكنيسة من حيث هي جسد المسيح «تتحقّق وتُستَعلَن في الأسرار».

وَصَف القدّيس كاباسيلاس الأسرارَ بأنّها «كالأوصال للقلب» و«كالأغصان للشّجرة» و«كالدّرجات في السّلّم». وفي مواضع أخرى سمّى الأسرارَ «نوافذَ يدخلُ منها شمس العدل».

في الأسرار، النّعمة المؤلِّهةُ تجلي الواقعَ الإنساني المخلوق وتُفَعِّلُ حياة جسد المسيح. واقعنا المتألّم يتجلى ويلبس النعمة الإلهية المقدِّسة. هذا متعلّق بشكل أساس بشركة الكنيسة: «حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى١٨:٢٠). حيث يجتمع المؤمنون ويحضر الرّب تظهر النّعمة فيكون السّر. من هنا تشدّد كنيستنا على أن الكاهن لا يستطيع إقامة أي من الأسرار بمفرده، إذ لا يتمّ السّرّ إلاّ بوجود الشّعب.

ومن الملاحظ أن كنيستنا الأرثوذكسيّة لغاية القرن الرّابع عشر لم تحدّد الأسرار بالعدد سبعة. كلّ الأسرار هي تعبير عن حياة الكنيسة في الرّوح القُدس وهي وصفٌ لفعل النّعمة في الكنيسة. العدد سبعة دخل شرقَنا، في القرن الرابع عشر مع الحملات الصليبية وبتأثير من الغرب. أمّا بالنسبة للّاهوتِ الأرثوذكسيّ فالسّرُّ واحدٌ: سرُّ التقوى الذي يذكره بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس «وبالإجماعِ عظيمٌ هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد، تبرَّر في الروح، تراءى لملائكةٍ، كُرِزَ به بين الأمم، أومِنَ به في العالم، رُفِعَ في المجد» (١تيم٣:١٦).

نحن نؤمن أن كلامَ الكنيسةِ وتعليمَها ونشاطَها البشاريّ هو سرّ، هو كلامُ حياةٍ، كلامٌ يَلِدُ فعلَ النّعمة الإلهيّة في الخليقة. الخَلقُ حصل بكلمةٍ، والرب يسوع كان يشفي المرضى، ويحيي الموتى، ويطرد الشياطين بكلمة فمه. ولكن يبقى السّر الأكبر في الكنيسة هو سر إعادة الخَلقِ الذي حصل في المسيح يسوع والذي يحيينا ويقدّس وجودنا.

المرض والشفاء

«في ذلك الزّمان أبصر يسوع جمعًا كثيرًا فتحنّن عليهم وأبرأ مرضاهم»، هذا ما يبدأ به الإنجيل الذي يُتلى اليوم على مسامعنا. وعندما نسمع عن مرضٍ وعن شفاءٍ اجترحه الربّ، يتجه فكرُنا فورًا نحو الأمراض العضويّة أو الخبيثة أو العضال فقط. لا نفكّر بالمرض الذي يفتك بنفوسنا وقلوبنا، وهل من مرض

الإنجيل

(متى ١٤: ١٤–٢٢)

في ذلك الزمانِ أبصرَ يسوعُ جمعاً كثيراً فتحنَّن عليهم وأبْرَأَ مرضاهم* ولمَّا كان المساءُ دنا إليه تلاميذُهُ وقالوا إنَّ المكانَ قَفْرٌ، والساعةُ قد فاتَتْ فاصْرِفِ الجموعَ ليذهبوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً* فقال لهم يسوعُ لا حاجةَ لهم إلى الذهابِ أَعطوهُم أنتم ليأكلوا* فقالوا لهُ ما عندنا ههنا إلاَّ خمسةُ أرغفةٍ وسمكتانِ* فقال لهم هلمَّ بها إليَّ إلى ههنا* وأمرَ بجلوسِ الجموع على العشب. ثم أخذَ الخمسةَ الأرغِفَةَ والسمكتين ونظرَ إلى السماءِ وبارَكَ وكسرَ وأعطى الأرغِفةَ لتلاميذهِ والتلاميذُ للجموع* فأكلوا جميعُهم وشبعوا ورفعوا ما فَضُلَ من الكِسَرِ إثنتَيْ عشرَةَ قُفَّةً مملوءَةً* وكان الآكِلونَ خمسةَ آلافِ رجلٍ سوى النساءِ والصِبيان* وللوقتِ اضْطرَّ يسوعُ تلاميذَه أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموعَ.

تأمل

«أطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح... أن لا يكون بينكم شقاقات بل تكونوا مكتملين بفكرٍ واحدٍ ورأيٍ واحدٍ».

بما أنّك سمعتَ عن رحابة صدر داود، تذكّر عدوًّا لك أو إنساناً آلمك وقل لي: هل ستُحسن إليه كل حياته؟ هل ستبكي عليه عندما يموت؟ وإن لزم أن تتعب أنت لكي لا يُصبْ بأيّ أذى، هل ستحتمل التعب طاعةً للوصيّة وأملاً بمكافأة الله؟ أنصحك وأرجو منك أن تقوم بكل هذا، لأنّه حقًّا لا شيء مرضيّ لدى الله ولا شيء يستحق العجب وأكثر رشداً من أن يسامح الإنسان أعداءه، ولا شيء أكثر حماقةً من أن ينتقم منهم أو يؤذيهم. كلّ مَن يبادل الشر بالشر، كثيراً ما يُلام ويؤنّبه ضميره دائماً. على العكس، فإنّ مَن يتجنّب الانتقام، ويصبر على شرّ عدوّه، سيكون ضميره مرتاحاً دائماً ويحظى بمعونة الله. إنّ سماحة النفس تعطي جرأة كبيرة في الصلاة وتكفل المعونة الإلهيّة في كلّ حالة، بما أنّها اقتداء بالله وقدّيسيه. إذا كان الإنسان الذي لا يظلم فاضلًا بأقلّ تقدير، فإنّ الذي لا ينتقم عندما يُظلم هو قديس حقًّا، وهكذا خبيث وعضال أكثر من الخطيئة؟!

كان الاعتقاد اليهودي القديم أنّ الأمراض الجسديّة هي عقاب الخطيئة: «يا معلّم من أخطأ هذا أم أبواه حتّى وُلِدَ أعمى» (يو ٩: ٢).

إذا قرأنا عجائب الشّفاء التي اجترحها الربّ، نجد أمرًا مشتركًا هو مجيء المريض شخصيًّا أو مَن ينوب عنه (كما في حالة ابن قائد المئة) إلى المسيح لكي يتمّ الشّفاء. كان الربّ يسوع يشدّد على موضوع الإيمان الشافي: «فقال له يسوع اذهب إيمانك قد شفاك» (مر ١٠: ٥٢)، إضافةً إلى موضوع مغفرة الخطايا: «فلمّا رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بنيّ مغفورة لك خطاياك» (مت ٩: ٢). لماذا ركّز الربّ على الربط بين الإيمان والغفران في سعي الإنسان نحو الشفاء؟ لأنّه شفوق ورحوم، يشاء خلاص الإنسان الحقيقيّ وليس الوقتيّ، إذ إنّه عندما يؤمن الإنسان ويتوب وتُغفَر خطاياه يكون قد نال شفاء النّفس، وتاليًا ورث الملكوت السّماويّ، بينما الشّفاء الجسديّ لا يعني بالضّرورة أن المعافى يصل إلى الإيمان، تمامًا كما حدث مع البرص العشرة الذين «واحدٌ منهم لمّا رأى أنّه شُفي رجع يمجّد الله بصوتٍ عظيم» (لو ١٧: ١٥). إضافةً إلى ذلك، يقول أحد الآباء الروحيّين المعاصرين: «إنّ كلّ المواضيع، قبل المسيح وبعده، كان النّاس يتدبّرون أمرها، لكن حين يخطئ الإنسان ويشعر بالذنب لم يكن أحد ليتدبّر أمره سوى الله فقط». لقد اهتم المسيح بشفاء الإنسان نفساً وجسداً، لذا أعطى أن يكون للجسد مَن يهتم به أي الأطباء والمسعفون والممرضون (مَثَل السامري الشفوق)، ونقل بعد القيامة إلى التلاميذ ومنهم إلى الأساقفة أو مَن ينوبون عنهم سلطان الاهتمام بالنفس وشفائها.

إنّ العجائب الشّفائيّة التي تحدث مع البشر مهمّة لكنّها ليست ركيزة إيمانيّة، بل هي نوع من تشديد لضعف الإيمان أو للتّذكير بأنّ العناية الإلهيّة تفوق العناية البشريّة. إنّ العجيبة الأهمّ بالنّسبة إلى الكنيسة هي عندما يتوب الخاطئ: «أقول لكم، إنّه هكذا يكون فرحٌ في السّماء بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥: ٧)، «هكذا أقول لكم يكون فرحٌ قدّام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لو ١٥: ١٠). لكننا نلاحظ أن الإنسان يفصل، على عكس ما قام به المسيح، بين الجسد والنفس، فيهتم المريض بجسده ويسرع نحو المستشفيات والأطبّاء إن في البلد الذي يقطنه أو خارجه، ويبذل كلّ أمواله في سبيل الحصول على يوم واحد إضافيّ على هذه الأرض، في حين يترك نفسه يتغلغل فيها شبح الموت وسرطان الخطيئة من دون الاهتمام بمصيرها، مع أنّ العلاج مجّاني والطبيب (الله) ينتظرنا والمستشفى (الكنيسة) جاهز لاستقبالنا في أيّ لحظة نقرّر فيها بملء حريّتنا الإسراع إلى الإستشفاء، وهذا الأمر لا يحدث إلاّ عندما نشعر بخطورة المرض.

يقول الأب الرّوحيّ المعاصر نفسه: « إنّ الخطايا تُغفر وتُمحى إلى الأبد إذا اعترف بها الإنسان وتاب عنها متوسّلًا إلى السيّد وطالبًا الغفران وهو لا يزال على قيد الحياة. هذا هو الاعتراف، وهذا هو الغفران، وهذا هو ما يسمَّى بتضميد الجراح وشفاء النّفس». لا يتم هذا الشفاء إلّا بالتوبة الحقيقيّة ومحاولة عدم العودة إلى الخطايا نفسها، كما من الخطر أن نتناسى بعض الخطايا ونظن أنّها ستُمحى مع ما اعترفنا به. الأمر ليس سحراً، وما لم يعترف به الإنسان من

خطايا سيتغلغل إلى أعماق نفسه ليعمل داخله كسرطان.

يجب أن نتذكر أيضاً دور الأهل (والعرّابين) في إبعاد شبح المرض الروحي عن الأولاد؛ فكما يسهر الوالدان على طفلهما حينما يكون مريضاً بالجسد، عليهما كذلك السهر على تطعيمه شيئاً فشيئاً بجرعات من روح المسيح من أجل صيانته من أي عدوى قد تقتل نفسه.

ليست هناك خطيئة لا شفاء لها، إذ الدّواء موجود والطّبيب حاضر. صار المسيح إلهنا إنسانًا لا ليدعو صدّيقين بل خطأة إلى التّوبة؛ لقد أتى ليبحث عن كلّ واحد منّا، وبقدر ما يكون الإنسان خاطئًا يحبّه أكثر ويبحث عنه أكثر، إلى أن يجده ويجعل منه قدّيسًا بالنّعمة. إذا كان لديك جرحٌ مثلاً، فإنك تعالجه ولو كان العلاج مؤلماً. كذلك الخطيئة، إن لم تعالجها بالإعتراف بها، مع أنّ الإعتراف بالخطيئة مؤلم، لن تشفى منها. حينئذٍ تدخل نعمة الرب لتقدّسك. ألا جعل منّا الربّ الإله مرضى عارفين حقيقة مرضنا ومدركين الطريق الذي علينا سلوكه لنحصل على الشفاء الحقيقيّ.

دعاء إلى والدة الإله

يا مَن ولدت النور الذي لا يغرب، أنصتي إلى ما أعلنه مبتهلاً. فلقد تلطّخْتُ بالحمأة، وتدنسْتُ، وبتّ مظلماً أنا الشقيّ، أنا المخضّب بكثرة خطاياي؛ يا لتعاستي، أيّتها السيدة، لذلك أصرخ الآن نائحاً، وكأنّي أمام الديّان العادم الفساد، ملوماً ويا للأسف، وتشهد عليّ السماء مع الكواكب والشمس. فعاصفة الأفكار انقضّت عليّ، والآن تُغرقني في اليأس. نفسي اشتملها الذعر، منتظرةً الحكم ويا حسرتاه! فعليكِ أضع كلَّ رجائي يا والدة الإله، أنا البائس. فانظري يا ممتلئةً كلَّ شرفٍ إلى خادمكِ الذي قبالتكِ مُعوزاً. وكوني أُبدي الارتباك باستمرار، إرأفي بي أيضاً أنا غير المستحقّ. وفكّي وحدكِ أغلالي غير المنحلّة، يا من حبلتْ بفادي العالم. وأنا الحالك الصائر ظلاماً، بيّضيني بدموع التوبة. أنا الميت بداعي كثرة تهاوني، أنهضيني يا من ولدت حياتي. أنا المتغرّب عن الله والملائكة، قوديني إليهم في الحال. يا للعجب المرعب، إذ كيف يتحمّل الرب خطاياي!؟ كيف لا يُحدرني توّاً، أنا الشقيّ الحيّ، إلى قعر الجحيم؟ كيف لا يرميني بعصاً من فوق، كيف لا يضربني بالسيف على نحو منظور؟ لكن، بتوسلاتكِ أنتِ ولاّ ريب، أَنعمُ أنا بحياتي أيتها السيدة، يا مفتقدة حقارتي، فاستجيبي لي أنا عبدك وأنيريني بنور وجهكِ الإلهيّ.

(القديس يوحنا الدمشقي)

صوم السيدة

يوم السبت الواقع في الأول من آب يبدأ صوم السيدة الذي ينتهي في ١٥ آب ذكرى رقاد سيدتنا والدة الإله. خلال هذا الصوم نمتنع عن أكل اللحم والسمك والبيض والحليب ومشتقاته. وتُقام مساء كل يوم من أيام الصوم خدمة صلاة البراكليسي (التضرّع لوالدة الإله) في كافة كنائس الأبرشية.

بالا مكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

كان داود.

لقد كان الناموس في ذلك الوقت يسمح بمبادلة الشرّ بشرّ مثله؟ «لا تشفق عينك، نفسٌ بنفسٍ عيٌن بعينٍ سنٌّ بسنٍّ يدٌ بيدٍ رِجلٌ برِجلٍ» (تث ١٩: ٢١). مع ذلك، فقد تخطى داود حدود الناموس عصره الناقص ووصل لأمكنني القول إذا صحّ التعبير، بشكلٍ نبويّ سابق لأوانه، إلى قياس الناموس الإنجيليّ الكامل الذي يسري علينا اليوم: «أحبّوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم» (مت ٥: ٤٤).

إذاً، أيّ جوابٍ سنعطي وبأيّ غفران سنحظى نحن الذين نعيش على الأرض بعد مجيء المسيح وإعطاء ناموسه عندما لا نصل حتى إلى فضيلة أبرار العهد القديم، مع أنّ إنجيلنا اليوم يطلب أكثر بكثير؟ يقول بصراحة مطلقة: «إن لم يزِد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ٥: ٢٠). يأتي هذا بالتأكيد من إلهنا نفسه الذي علّمنا المسامحة ليس فقط بأقواله بل بمثاله المقدس أيضاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم